المشرق

نظر في الطرفة النفيسة

من

تاريخ الكنيسة المسيحيّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

تلطّف حضرة مؤلف هذا الكتاب الخوري عيسى اسعد فاهدانا نسخةً من تاريخهِ الجديد الذي وُعدنا بنشرهِ منذ السنة ١٩٢٢ . ولم نأخذ عليهِ تأخيرهُ في ابرازهِ بل وجدنا في ذلك دليلًا على تروّيهِ في العمل ونفورهِ من التهوُّر والمثل يقول «ان العجلة من الشيطان» او كما يقول الحلبيُّون «الطعام الطيّب بطيئاً يطلع»

فكان اذن مأمولنا ان نمتع الابصار بتاريخ لزم صاحبهُ جادَّة الصدق وقاس كل رواياتهِ بمقياس العقل وسبَرها بميزان الحكمة ولاسيما ان الكاتب احد « الاحرار » بين اهل حمص ولعلَّهُ هو زعيمهم كما يقال

فما اشدّ ما كان اندهاشنا بعد ذلك اذ قلّبنا بعض صفحات الكتاب فوجدنا في كثير منها من التحامل على الكنيسة الكاثوليكية الرومانيَّة ما طالما عوَّدنا عليهِ الدُّعداتها من البروتستانت واشباههم فقلنا : عادت الى عِثْرها ليس . وانَّما العادة طبيعة ثانية قلَّما يمكن اصلاحها

ومن ثمَّ لم نجد بُدًّا من اجالة نظر الانتقاد الصادق في هذا الكتاب الجديد فنبيّن بكلام وجيز بعض ما فيهِ من الشطط . قلنا «بكلام وجيز» اذ ليس يمكن بصفحات قليلة أن ننقد بندًا بندًا كل ما وقع في هذا التأليف من الاغلاط فانَّ

تفنيده التامّ لا تحضره عدّة مجلّدات ولا نأبى مع ذلك إن طلب منّا حضرتهُ او احد قرّاء كتابهِ ردًّا مفردًا على بعض مزاعمهِ الخاصّة ان نعود الى البحث علميًّا عن تلك المزعومات

١ اسم الكتاب

واوّل ما وقع عليهِ نظرنا اسمُ الكتاب دعاهُ مؤلفهُ «طُرفة نقيّة» فالطرفة ما يُبتدع من المُلَح . ولم نجد في الكتاب سوى منقولات عن تآليف اشاعهـا خصوصاً اعداء الكثلكة بالعربيّة واليونانيّة والانكليزيّة ولو كان حضرتهُ دلّ في ذيل كلّ صفحة على اسانيدهِ لكان زادنا ثقةً في قولهِ وكانهُ وثق بقرّائهِ فعلم انهم لا يطالبونهُ بمصادر مروياتهِ فيقبلون جزافاً سائر آرائهِ لما يعهدون منهُ من العلم الواسع والنزاهة والاستقامة . وانهم يكتفون بما وضعهُ في صدر الكتاب «انهُ استخلصهُ عن نخبة من ثقات المؤرخين النزهاء»

ثم دُعيَت هذه الطرفة «نقيّة» يريد حضرتهُ انهُ لا يشوبُهـا شيء من المساوئ المشوّهة لحسنها فهي كمرآة الغريبة التي يُضرب المثل في صفائها . وقد ظهر لنا لأوّل وهلة ان تلك النقاوة المزعومة اسمٌ بـلا جسم وانّ الجراثيم الوبيئة والميكروبات السامّة معشّشة فيها . فهيهات ان يُصدَّق في كتابهِ مـا رواهُ في صدرهِ عن عظم رتبة التاريخ وهو احقُّ بان يُقال عنهُ ما قالهُ بعض كبار المؤرّخين «انّ التاريخ اصبح في ايدي اهل زماننا مؤامرةً ضدّ الحقيقة» وها نحن نبيّن ذلـك في الصفائح الآتية

٢ تاريخ الكنيسة المسيحيّة في عرف الخوري عيسى

واوّل ما يقتضي التنبيه اليهِ انّ الخوري عيسى بوضعهِ هذا الاسم في صدر كتابهِ اراد ان يفيد العموم بانهُ لم يحصر عملهُ في كنيسة واحدة او طائفة خصوصيّة وانّمـا اراد ان يشمل بتاريخهِ كنيسة المسيح جمعاء اعني كما انشأها الربّ في حياتهِ ووصفها لتلاميذهِ «جماعة بشريّة ألفها لغاية دينيّة سامية ذات رأس واعضاء خاضعين للرأس» اذ لا تقوم جماعة الّا ان يكون عليها رئيس يسوسها وتنقـاد لاوامرهِ . وكأني بحضرة الخوري عيسى جهل ذلك او تجاهل فيذكر اوائل الكنيسة وإنشاءها ويضرب الصفح

عن اقوال المسيح لهامة الرسل: «انت الصخرة ... وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ... ثبّت اخوتك ... ارعَ خرافي ونعاجي» فكل هذه الآيات التي تطنّ لها مسامعُ الشمّ لم تقوَ على ايقاظ فكرة الخوري عيسى. وجمل ما قالهُ عن بطرس (ص ١٣) «انهُ كان من اكثر التلاميذ غيرةً ونشاطاً وتعيَّن بعد العنصرة لتبشير اليهود» وهو لا يرى كلّ آية من فصول اعمال الرسل الاولى باجمعها لا تنطق الّا عن بطرس ورئاسته: في اقتراحهِ لاختيار متيّاس بعد صعود الربّ. في دفاعهِ عن اخوتهِ يوم عيد العنصرة. في تبشيرهِ لليهود. في تبشيرهِ للامم. في رئاستهِ لمجمع اورشليم. في ذكر كلّ عجائبهِ دون سواه حتى انّ ظلّهُ كان يشفي المرضى. في اهتمام كلّ الكنيسة لامرهِ يوم يزجُّهُ اغريباس في الحبس (فليراجع حضرتهُ مقالة الاب انطون صالحاني في رئاسة بطرس في المشرق ٢٠[١٩٢٢]: ٣٣٢—٣٤٧ وليخطّئ حرفاً منها ان امكنهُ) أفهكذا يُكتب تاريخ الكنيسة المسيحيّة؟ ويضلّل رجلٌ عالم قومهُ باخفاء النور عنهم؟

وكما سكتت حضرتهُ عن رئاسة القديس بطرس كذلك لم يكد يرى اثرَ الرئاسة خلفائهِ الاحبار الرومانيّين بسلسلة متواصلة من عهد الرسل الى ايّام فوطيوس سواء كان باقرار الآباء عنهم ام باعمالهم الدالّة على تمام سلطانهم. فهو يجهل شهادات اغناطيوس النوراني وابرقيوس في اثره الجديد الذي مرَّ وصفهُ (المشرق ٢٠[١٩٢٢]: ١٣٤—١٤٠) وكلاهما تلميذ الرسل مع شواهد لا تُحصى للآباء الاوّلين كايريناوس وترتليانوس وقبريانوس ويوحنا فم الذهب الخ وكذا اعمال الاحبار الرومانيّين مباشرةً باقليمنضوس تلميذ بطرس وحكمهِ في منازعات اهل قورنتس وغير ذلك من الآثار الجليلة التي ذُكرت في سنتي المشرق (٣[١٩٠٠]: ٢ و ٤٢ ثمّ ٤[١٩٠١]: ٨٠٧) مع ما ورد ايضاً في الآثار المسيحيّة القديمة (المشرق ٦[١٩٠٣]: ٥٧٧) ويشهد عن هذه الرئاسة المسلمون فضلاً عن النصارى بنصوص عديدة (المشرق ٥[١٩٠٢]: ٢١٧) حتى انهم يدعون الاحبار الرومانيين «بطاركة المالكيين» كما اثبت ذلك مؤخّرًا الاديب ح. ز. في جولتهِ مع الهدية

أفلهذا الحدّ بلغ جهل الخوري عيسى حتى انهُ لم يلتبس عن كلّ ذلك ببنت شفة؟ ويا ليتهُ كان سكت فقط عمّا يطعن بفوطيوسيّتهِ الّا اننا نراهُ يتتبّع كلّ عمل

من الاحبار الرومانيين فيشوّهه ويرشقه بالملام وان وجد خللاً عظّمه ونادى بالويل والثبور وشنّع على اصغر قذى يراه في عين الكنيسة الرومانية وهو لا يكاد يشعر بالخشبة بل اضخم الخشبات التي في عين ذويه . فيمكننا ان نبيّن بالبرهان انّ حضرته لم يذكر خبرًا واحدًا من اخبار الكنيسة الكاثوليكية بتزاهة واستقامة . ولعلّ عذره استنادهُ الى مصادر مكدّرة بكلّ اوساخ العداوة لرومية . ولو شاء لوجد حتى بين الروسيين واليونان الارثذكس من يزكّي الكنيسة الكاثوليكية ويقرّ بما لها من الفضل على العالم اجمع كفى بذكر سولوفياف الكاتب الروسيّ الشهير

ومما اتخذهُ سلاحاً لمحاربة البابويّة ما حدث في القرن الرابع عشر من تعدُّد الباباوات وهو مشكل . سمح الله بحدوثه وخرجت منهُ الكنيسة بعد هذه المحنة بقوّة جديدة وكان كلّ فريق بطاعته لاحد الباباوَين يتبع فيه صوت ضميره لعدم وضوح الامر ولا يشكّ في شرعيّة الواحد منهما . ولكن اين هذا مما رأيناه وطالما تكرّر حتى في أيامنا الاخيرة من « تعدُّد البطاركة المسكونيين » يُنزّل الواحد بعد الآخر حتى عاش اربعة وخمسة بطاركة في وقت واحد لتحزُّب السينودس عليهم او اجابةً لطلب السلطة المدنيّة

ولو لم يحجب حضرة الخوري نظرهُ عن النور لكفاهُ ان يرى العالم كلّهُ يطأطئ برأسه معجباً امام رؤساء الكنيسة الذين عرّفهم وشرّفوا منذ بيوس التاسع الانسانيّة بتعاليمهم واعمالهم وهو يطّلع كلّ يوم على صحائف الاديان المختلفة . وقد اتفق اليونان مع غيرهم من ذوي الاديان غير الكاثوليكيّة على اقامة تمثال للحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في عاصمة الاتراك دفعوا وحدهم ثمنهُ من مالهم شكرًا لهُ على مساعدته المنكوبين . وعلى مثاله يجري خلفهُ بيوس الحادي عشر المالك سعيداً فيعول نحو ١٥٠،٠٠٠ من أحداث روسيّة الارثذكس

وماذا نقول عن الخدمات المعدودة بالمئات والالوف التي قدّمها في كلّ أين وآن الكرسي الرسولي للافراد والجماعات ولكلّ أمّة من الامم من شرقيين وغربيين وليست اوربّة الّا ثمرة تفانيه ومحبّته تشهد عليهما الوف المجلّدات وعشرات الوفها لمّا خلّص الباباوات اوربّة من البرابرة ومدّنوهم . لمّا وضعوا حدًّا لاستبداد الملوك وظلمهم . لمّا سنّوا الشعوب السنن المسيحيّة . لمّا سعوا بتحرير الامم . فكلّ ذلك لا

حساب لهُ في تاريخ الخوري عيسى . واذا روى منهُ شيئاً نسبهُ الى اغراض دنيَّة !

٣ تاريخ الارثذكسيَّة في عرف الخوري عيسى

وبعد ان صوَّر الخوري عيسى الكنيسة المسيحيَّة بلا رأس وتحامَلَ على الكرسي الروماني فماذا يبقى له من كنيسة المسيح ؟ أكنيستهُ الشرقيَّة ؟ ولكن اذا نزعها عن الكنيسة الرومانيَّة أتبقى كنيسةً للمسيح ؟ فان سلَّمنا لهُ بانها رسوليَّة راقية بسلسلة اساقفتها الى عهد الرسل . فاين وحدتُها ؟ وترى اختلافها حتى في الجوهريَّات فبعض الاورثذكس يقبلون اسفار التوراة الثانويَّة كموحى بها وغيرهم ينكرون ذلك بموجب تعليم البروتستانت . تقبل كنيسة روسيَّة عماد الكاثوليك وتنكرهُ كنيسة انتيخية ؟ وغير ذلك من التعاليم المتنافية . واين قداستها ؟ ولم تثبت الى اليوم بفحص قانوني مدقَّق قداسة احد الاورثذكس وصحَّة عجائبهِ . واين خصوصاً كاثوليكيَّتها ؟ وهي تردِّد كلَّ يوم في دستورها اليوناني : أؤمن بكنيسة كاثوليكيَّة (Πιστεύω εἰς Καθολικὴν Ἐκκλησίαν) وباعترافها تحكم على نفسها وعلى ذويها بالضلال

وكفى تسويداً لصحيفة الكنيسة الاورثذكسيَّة انَّ رؤساءها يتقرَّبون اليوم الى الفرق البروتستانتيَّة وينبذون بفعلهم هذا كلَّ ماضيهم ويُضحّون كلَّ امتيازاتهم (راجع تفاصيل ذلك في تاريخ الخوري عيسى ٣٤٢—٣٤٧)

وكم تذلَّل بطاركتها امام السلطة المدنيَّة فالتمسوا رضاءها صاغرين بدلاً من ان يصونوا وجههم ويذبُّوا عن شرف مقامهم كما تفعل الكنيسة الكاثوليكيَّة بازاء الملوك وقوَّات الارض فانها وحدها عرفت ان تردِّد كلمة القديس بطرس بازاء مجمع اليهود : «لا نستطيع» . وكان جزاء خضوع البطاركة المسكونيين للسلطة المدنيَّة ان قطعت غير مرَّة الرؤوس المنحنية امامها

ومما يوقفنا على تذلّل بطاركة القسطنطينيَّة للسلاطين بني عثمان انَّ اوَّل بطريرك دخل الاتراك المدينة في ايَّامهِ وهو جنَّاديوس قبل من ايدي محمَّد الفاتح شارات سلطتهِ الدينيَّة كما كان يفعل ملوك الروم قبلهُ (١ ويفتخر الخوري عيسى بهذه الامتيازات (ص ٢٨٢) . دونك صورة البطريرك جنَّاديوس عند اقدام محمَّد الثاني

١) اطلب تاريخ هامر Hammer : *Hist. de l'Empire Ottoman. vol.* III. 2-3

نشرها جول دوفو (J. Duvaux) في تاريخ تركيَّة (ص٢٥) للمؤرخين راول بورديه (R. Bourdier) ولاورند تشوزكو (L. Chozko) من علماء المستشرقين

تمثل هذه الصورة ما رواهُ المؤرخ اليوناني فرانتزاس (ك ٣ص٦٨) عن البطريرك جرجس سقولاريوس المعروف بجنادیوس لمَّا قلَّدهُ السلطان محمَّد الثاني الفاتح السلطة على رعاياهُ الروم (اطلب تاريخ المملكة العثمانية تأليف هامر ج ٣ ص ٢-٤)

هذا ما اكتسبهُ بطاركة الروم فبدلًا من خضوعهم الاختياري لخليفة المسيح خضعوا مرغومين لخلفاء محمَّد . وقد تكرَّر بعد الحرب الكونيَّة صدى جور الاتراك بمعاملة انقرة للبطاركة المسكونيين . فما قول الخوري بكل ذلك ؟ أيسوغ له الفخر بالكنيسة الارثوذكسيَّة؟ او لا يخجل بان يعارض بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية؟ وليس لبقيَّة الكنائس المنفصلة عن رومية حقٌّ اعظم بالافتخار فانها منذ انفصالها عن

كنيسة المسيح الوحيدة لم تزل تتقهقر شيئاً فشيئاً حتى هبطت الى الحضيض واصبحت عقيمة لا روح فيها كالموميا المحنطة لا تجري اليها مائية الحياة الالهية . وعلى خلاف ذلك الكنائس التي جدّدت اتصالها بمركز الوحدة من روم كاثوليك وسريان وكلدان وارمن واقباط وحبش فانها في ازدهار يومي تؤتي بغلاتها الشهية بدلاً من الواحد ثلثين وستين ومئة بعد ان قاسى ابناؤها اشدّ الاضطهادات من اخوتهم المنفصلين ليفوزوا بالاستقلال

٤ الخرطقات الدينيّة في عرف الخوري عيسى

وهنا باب آخر احبّ الخوري ان يطرقهُ — ويا ليتهُ لم يفعل لشرفهِ — وذلك انهُ اتسع في خلال كتابهِ بذكر البدع التي قامت في النصرانية وكان رسول الامم سبق وانبأ ان لا بُدَّ من وقوعها (١ كور ١١ : ١٩) فتراهُ اذا ذكر تلك البدع لم يكد يصف الّا القليل من اضاليلها بل يترصّد فيها ما يُشتمّ منهُ بعض المعارضة لرومية فللحال يميل مع المبتدعين على عاصمة الكثلكة ويجنّد افعالهم كشتائمهِ على ترتليان (ص ٥٧) المنتمي الى بدعة المونتانيين

ومن ذلك ما كتبهُ عن خرطقات الڤاندال والالبيجيين والبلغاريين والوالديين والبوهيميين والهوسيّين وشيع البروتستانت فهو غالباً لا يُحسن وصف تلك البدع وتعاليمها المقوتة ويلوم الكاثوليك في معارضتها وتبشيرها . ولو خصصنا بالذكر ما يقولهُ (ص ٣٨٠ = ٣٨١) في الجنسينيّة والجدالات التي قامت بسببها بين مشايعيها و «الجزويت» لرأيتَ عجائب وغرائب حتى لم يكد يثبت من كلامهِ شيء صحيح . وكثيراً ما ينقل عن غيره من الكتبة دون ان يدرك المسائل فيبرف بما لا يعرف . وكذلك فعلهُ في وصف المجامع المضادّة لسلطة الكنيسة كمجمعي كونستانس وبازل (٢٥٤—٢٥٦) فانهُ دائماً بجانب المضادّين . وكم شطّ في وصف المجمع التريدنتيني (٣٢٦—٣٣٠) . اما المجمع الفلورنسي فان حضرة الخوري انتصر لمرقس الافسسي (٢٢٩—٢٣١) على كل آباء المجمع كأن مرقس الافسسي وحدهُ خلّص الكنيسة التي ضلّت وقتئذٍ بأسرها وبطلت مواعيد المسيح القديس بطرس فقويت عليها ابواب الجحيم

٥ اغلاط مفردة واضحة

رأيت في ما سبق ان حضرة الخوري عيسى جارّ عن الحقّ في عدّة امور اجماليّة واتّبع جادّة الوهم والضلال. وها نحن نعدّد هنا بعضاً من اغلاط تاريخه الواضحة وهي برضٌ من عدّ ونقطة من بحر

﴿ الصفحة ١٠ ﴾ ينسب حضرتهُ الحكم في المجمع الرسولي للقديس يعقوب اخي الربّ ولا يقول شيئاً عن رئاسة بطرس عليهِ مع انّهُ هو الذي تصدّر فيهِ وحكم الحكم الفصل الذي صدّق عليهِ يعقوب

﴿ الصفحة ١٥ ﴾ فرق بين يعقوب الصغير ابن حلفى ويعقوب اخي الربّ. والمشهور انهما واحد. ومن سيّئاتهِ انهُ جعل يعقوب المذكور «ابناً لحلفى وأحد اولاد يوسف من زوجة سالفة». وهذا افتراء في حقّ القديس يوسف البتول فنّدهُ حضرة الاب انطون صالحاني في مقالة واسعة ردّ فيها على الارشمندريت الياس زلزل سنة ١٩١٣. ومثلهُ فعل سنة ١٩١٢ المرحوم المعلّم ظاهر خيرالله عطايا الاورثذكسي في كتابهِ الادلّة الغرّاء (ص ١٩٣—١٩٤) والمذكور كتابٌ واسع في بتوليّة القديس يوسف ردًّا على الطوران هواويني ومجلّتهِ الكلمة أطلعنا عليهِ قبل وفاتهِ

﴿ ص ٢٠—٢٤ ﴾ خلط حضرتهُ تاريخ الاضطهادات العشر فجعل الامبراطور ادريان احد المضطهدين ولا احد ينظمهُ في جملتهم وان قُتل في عهدهِ بعض الشهداء في الولايات على خلاف امرهِ. وبعكس ذلك ضرب صفحاً عن اورليان صاحب الاضطهاد التاسع الذي اصدر فيهِ حكمهُ وان لم تطل مدّتهُ لموت الملك سريعاً

﴿ ص ٢٣ ﴾ ليس بصحيح ما قالهُ عن غاليو كابل (كذا) «انهُ لم يكن يعتقد بصحّة الوثنيّة بل كان من تبّاع فلسفة الاكليكتيك .. وانهُ نوى ان يقرن مذهبهُ بالمسيحيّة» فانّ العالم الوثني لم ينتج رجلًا ادنى من هليغبال شأناً واقبح اخلاقاً واعرق في ادناس الوثنيّة فاشاع في رومية عبادة الحجر الاسود الذي كان هو سادن هيكلهِ في حمص وضحّى لهُ اولادًا صغارًا والى بعير ذلك من الفظائع التي ادّت الى قتلهِ. ولا عبرة ببعض رتب مسيحيّة تقلّدها فخلطها بعباداتهِ الوثنيّة

﴿ ص ٨١ ﴾ جعل «انتشار الديانة المسيحيّة في الدور الاوّل في المملكة

الرومانية فقط، والآباء الاولون كيوستينوس واوذوبيوس وترتليانوس ويوحنا فم الذهب، يذكرون امماً عديدة تنصّرت وكانت خارجة عن حدود المملكة الرومانيّة كالهنود والحبشة والاسقيثيين والاسماعيليين وقبائل البادية حتى الصينيين المذكورين باسم «سير» (اطلب المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧٥٧—٧٥٩)

﴿ ص ١٤٦ ﴾ عجيب ما كتبهُ هناك عن القديس اوغسطينوس انهُ «تطرّف عن التعليم الحقيقي بشأن سابق التحديد والعناية وانكر حرّية الانسان» فان هذا افتراء شنيع في حقّ القديس اوغسطينوس الملقّب في الكنيسة «بمعلّم النعمة»

﴿ ص ١٥٢ ﴾ ما رواهُ هناك عن زواج الاكليروس يحتاج الى تفنيد واسع. اطلب ما اثبتناهُ في هذا الصدد في المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨٠٠—٨١١) وفيهِ الكفاية لبيان ما صارت اليهِ الاورثذكسيّة من الانحطاط من يوم سمحت بزواج الاكليروس فقتلت كلّ روح غيرة ونشاط في ذويها. فليهنأ الخوري بعرسهِ ولا يمسّ شرف الكنيسة الرومانيّة!

﴿ ص ٢١١ ﴾ قولهُ عن «طموح الباباوات الى الرئاسة العامّة» عارٍ عن كلّ صحّة فانّ الباباوات منذ القديس بطرس كانوا يدّعون بكلّ حقّ بتلك الرئاسة ويجرون عليها فعلاً بالحلّ والربط بموجب اوامر المسيح فلم يحتاجوا ان ينالوا من الكنيسة او من المجامع تلك السلطة كما نالها من فضلهم بطاركة انطاكية والاسكندريّة ثمّ اورشليم وبعد الجميع القسطنطينيّة (راجع ثلث مقالات المشرق في هذا الموضوع ٥ [١٩٠٢] : ٤٣٣;٥٨٨;٦١٧) . فقول الخوري (ص ٢١٢) «انّ الامبراطور فوقا اعطى الباباوات اغراض سياسي لقبَ رأس الكنيسة» كذبٌ محض مخالف للانجيل وللتاريخ والتقليد

﴿ ص ٢٢٢ ﴾ قولهُ «بان الكنيسة الغربيّة . احدثت عقائد وطقوساً» لا يصحّ الّا في الطقوس وذلك موكول اليها امّا في العقائد فتهمة الخوري من اكبر اراجيف المعادين للكنيسة الرومانيّة التي وحدها حفظت وديعة الايمان دون شائبة

﴿ ص ٢٢٤ ﴾ انّ الاسطر القليلة التي خصّها حضرتهُ بالحملات الصليبيّة تُشعر بتعصّبهِ وتكرانهِ الجميل للدول الغربيّة التي لولا حملاتها ما بقي في الشرق نصرانيٌّ حيّاً

﴿ ص ٢٣٠ ﴾ يقول « انَّ البابا (افجانيوس الرابع بعد توقيع جميع الآباء اليونان واللاتين على اعمال مجمع فلورنسة ما عدا مرقس الافسسي) شعر بأنَّ الاتحاد بدون رضى مرقس لا يثبت » فيا العجب فاي مجمع من المجامع المسكونيَّة خلا من اعتراض بعض المخالفين أفأبطل لمخالفتهم؟ فكيف يبطل اذن المجمع الفلورنتيني لمخالفة واحد ؟ انظر يا صاح الى اين يؤدّي التعصُّب وكيف يُعمي الهوى الابصار والبصائر

﴿ ص ٢٤٥—٢٤٦ ﴾ ان القديس غريغوريوس السابع اكبر جهابذة الكنيسة دافع عن حقوقها بازاء الدولة المدنيَّة كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس لاون الكبير فبهات ان تمسَّهُ سهام حضرة الخوري الطائشة . واليوم يشهد لهُ البروتستانت انفسهم ويشيدون بعظم نفسهِ ويؤثمون هنريكس الثالث . ومن الخرافات ما ذكرهُ هناك انَّ البابا اوقفهُ « ثلاثة ايَّام بلياليها حافياً صائماً امام قصره »

﴿ ص ٢٤٧ ﴾ ان السلطة الزمنيَّة ليست « ثمرة طموح الباباوات اليها وانَّ اوَّل من جاهر بهذه الفكرة اينوكنديوس الثاني » وكلّ يعلم انَّ الباباوات بلتمس الشعوب وتبرُّع الملوك الفرنج نالوا تلك السلطة بعد حلول البرابرة في ايطالية وفشل ملوك الروم في الدفاع عن رعاياهم . اعني منذ القرن السابع . بل يجوز القول ان مُلكهم الزمني يرتقي الى قسطنطين الكبير الذي تنازل لهم عن سلطتهِ في رومية يوم انتقل الى القسطنطينيَّة . هذا لا يجهلهُ صغار مدارسنا مثل كبار العلماء الأثبات

﴿ ص ٢٥٦—٢٥٧ ﴾ ما قالهُ عن « نوافل القديسين » ونسبتها « الى الافكار البيلاجيَّة » يدلُّ على انَّ الخوري لا يفهم لا ما هي نوافل القديسين ولا ما هي الافكار البيلاجيَّة . امَّا اقوالهُ عن الغفرانات وبَيْعها بالسيمونيا فنقلها عن مزاعم بروتستانيَّة وسنوضح ذلك ان شاء الله قريباً في المجلَّة فنفرد لهُ بحثاً خصوصيًّا

﴿ ص ٢٦٩ ﴾ هل قرأ حضرة الخوري سطراً واحداً من لاهوت القديس توما الاكويني واتباعهِ ليقرَّفهم باثم فظيع لا وجود لهُ الَّا في دماغهِ فيقول هناك ان تعليمهم « أضرَّ بالمبادئ الادبيَّة وبرَّر كثيراً من الذنوب » . واين وجد زعمهُ بأنَّ القديس توما مات مسموماً (ص ٢٧٠) فهذه اوَّل مرَّة نسمع بمثل هذه التهمة

﴿ ص ٢٧٠ ﴾ « برنردوس كليروف » تصحيف غريب لاسم القديس برنرد رئيس دير كلارفو (S' Bernard abbé de Clairveaux)

﴿ص ٢٩١–٢٩٢﴾ للخوري هناك اخبار مضحكة في النزاعات التي جرت في القدس بين اللاتين والاورثذكس ذكرتنا بخرافة الذئب المتشكي من ظلم الخروف. ولو اراد حضرتهُ الاخبار الصحيحة عن هذه النزاعات لامكننا ان نقدمها لهُ عن الاوراق الرسمية التي تفصّل اعتداءات الروم على اللاتين بفصول تَيِمُ رهبان اليونان بسمات ابديَّة من العار. فلدى اللاتين اكثر من ثلثين فرماناً او حكماً شرعياً تشهد بحقوقهم على الاماكنة المقدَّسة وعلى تزويرات الروم لما اغتصبوا بهِ لنزع بعض تلك المزارات من ايدي الرهبان الفرنسيسيين بضروب الاعتداءات

﴿ص ٣٣٠–٣٣١﴾ قد شرَّف حضرتهُ هناك «الجزويت» باوصاف منها صادقة ومنها كاذبة كقولهِ «انَّ الجزويتيَّة برئاسة الجنرال المقيم في رومية عبارة عن مملكة ضمن مملكة او بالاحرى كنيسة مستقلَّة ضمن كنيسة» وذلك بعد ان ذكر طاعتها التامَّة للحبر الاعظم. فانظر التناقض !!!

﴿ص ٣٤٤–٣٤٦﴾ يستبشر الخوري بتقرّب كنيستهِ من الانكليكان فنهنئهُ بهذا التقرّب وندعوهُ الى مطالعة ما كتبنا في ذلك في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٨٦٨–٨٧٥) فيرى كبر النعمة التي ينتظرها الاورثذكس باتفاقهم مع الانكليكان. لا جرم انَّها تكون الضربة اللازبة على اورثذكسيَّتهم

﴿ص ٣٤٦﴾ زعم الخوري «ان لاون الثالث عشر نقم على الانكليكان واذاع منشوراً (١٨٩٦) اعلن فيهِ فساد شرطونيَّتهم». أفهكذا تعرف يا حضرة الكاتب تاريخ ملَّتك حتى انَّك تجهل ان الكنيسة الاورثذكسيَّة نفسها ابت الاعتراف بصحَّة كهنوت الانكليكان لانقطاع السلسلة الرسوليَّة عندهم (اطلب المشرق ٢٠: ٨٧٣–٨٧٤)

﴿ص ٣٧٨﴾ اتى حضرتهُ بضروب السفاسف في ذكر الغاء اليسوعيين فزعم انهم تآمروا ضد ملك البرتوغال وانهم سمّوا الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر. فتأمَّل ايها القارئ كيف لم يستحي كاهن يعتبرهُ بعض مواطنيهِ كرجل عالم ومستقيم ان يخطّ بقلمهِ مثل هذه الترّهات التي يخجل من ذكرها اعداء الجزويت. وان شئتَ الوقوف على صحَّة الامر فراجع ما كتبناهُ في العام الماضي عن البابا اكليمنضوس الرابع عشر والغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة في المشرق (٢١[١٩٢٣]: ٥٦١–٥٧٤) وهناك

من الشواهد ما يُفحم كلّ معاند. وكفى لتزكية الرهبانيّة اليسوعيّة انّ البابا بيوس السابع لم يجد دواء انجع من إحيائها لمحاربة الكفر والماسونيّة ولتهذيب الناشئة

﴿ ص ٤٦٠ ﴾ ينسب حضرتهُ الارساليّات الكاثوليكيّة الى مطامع البابويّة كأنهُ لم يقرأ في الانجيل ما قالهُ الربّ لتلاميذهِ وخصوصاً لرئيس كنيستهِ: «اذهبوا الى العالم اجمع وعلّموهم ما اوصيتكم بهِ» وهي مهنةٌ لم تزل الكنيسة تقوم بها منذ تسعة عشر قرناً فكيف يخطّأها لقيامها بأمر المسيح ؟

نضع هنا حدًّا لانتقاداتنا وكان بوسعنا ان نزيد عليها كثيرًا الّا انّ في ما سبق ادلّةً كافية على ما قلنا في اوّل هذا الانتقاد انّ حضرة المؤلف غطّ قلمهُ بمداد من الافتراء واستقى موادّ كتابهِ من موارد عكرة ليس كما قال من ثقات المؤرّخين النزهاء.

هذا ولا ننكر ان بين فصول الكتاب قطعاً مفيدة كتراجم بعض الآباء الشرقيّين والغربيّين وتعريف الطوائف الشرقيّة الّا انّ هذا القليل الحسن لا يشفع بالكثير الباطل والسلام

الحكمة العيسوية

من نظم الشاعر المُجيد قبلان افندي الرياشي

ارسل جناب الناظم قصيدتهُ هذه الى مجلّة المشرق فاستحسنّاها وانّما اضطرّنا ضيق المكان الى اختيار قسم منها فقط

طال الوقوفُ على الاطلال في العَلَمِ ... ماذا التأمّلُ في الآثار والرَّسمِ
أقوَتْ عراصٌ قد استوحشتْ وطائرها ... وتلك من وحشةٍ محجوبةُ النَّسَمِ
لولا التنفّسُ عن حَرّ الزفير لَمَا ... هبَّ الهواء على صالٍ من الضَّرَمِ
أو التبرُّدُ بالذكرى لَذبتُ جوًى ... قبل التبرّدِ من سَلسالها الشَّبِمِ
يا جيرةَ الحيّ ارعاها وارقبها ... في بيتَ لحمَ وما عهدي بمنحرمِ
كم لي على الطُّور او صنّاء جُلجلةٍ ... دمعٌ يروّي ثرى البستان كالغَنَمِ